

سيصدر في موعده

غسان زقطان

بيروت - صيف 1982..

كنا نرغب أن لا تسقط «صيда» وأن يصمد مخيم «عين الحلوة» أياماً أخرى. ولكن الخبر كان واضحاً وممثلةً بتفاصيل كثيرة تسند الرواية، تفاصيل جارحة مثل مسامير صلبة وصغيرة تثبت الإطار حول المشهد الكلاسيكي الصارم... أرتال من الدبابات المغبرة تصعد الجبال والطرق الفرعية الضيقة... وانزالات لجنود المظلات على الشارع الرئيس في الأولي وقبالة الدامور والناعمة... وحارة الناعمة... إلى «بيروت»، حيث سيكتمل الحصار لثلاثة شهور طويلة...

بيروت، حي المزرعة إحدى غرف الطابق الثاني، هناك بدت تلك الليلة بضوئها الباهت مثل صورة مؤطرة قادمة من بداية القرن الماضي، مملوكة للحكاية وليس لأشخاصها، منطقة ثابتة في مكان يتغير وينتقل ويموت أبطاله في الزوايا والمفارق...

صورة يمكن تعليقها على جدار في رام الله بعد عشرين سنة وعندما تحقّق فيها من جديد سيهبط الضوء، أولاً إلى ساحة المنارة ثم الأشخاص فيما سيبقى هناك داخل الإطار، ميشيل وغالب وعلي... الموتى، فقط سيكتفون بالإطار وبقليل من الضوء القادم من إشارات الطرق.

ما الذي يستدرج لحظة كهذه إلى هنا مثل ذكرى فقيرة لكن حميمة وصافية؟! ما الذي يجعل من «صيда» شقيقة بيضاء لنا بلس وبيروت لرام الله وصور لغزة وطرابلس للخليل؟!....

أروح في إحالة كاملة للمقارنة عندما كنا هناك وكان الترتيب مختلفاً ومتكلفاً تماماً .
من الشرفة، شرفة «بيت الشعر»، تبدو مستوطنة «بساغوت» على مسافة مئات الأمتار، ويمكن
تمييز البيوت وأبوابها والإسلاك الشائكة وفوهة المدفع ...، يمكن مناداة القتلة هناك إذا امتلكت صوتاً
قوياً .

على الجدار آثار الطلقات، وقياس الزوايا يؤدي إلى الموقع على مدخل المستوطنة، في الداخل صور
كثيرة ومتراصة بالأبيض والأسود لشعراء راحلين .. البياتي، شوقي، طوقان، حافظ، الجواهري،
قباني، أبو سلمى، دنقل ...

الرصاصة يصل إلى أطراف الإطارات والشعراء لا يرمشون، فيما نحن نجمع الرصاص ونغيّر الزجاج
للمرة الثانية .

في الموعد ستصدر «الشعراء» وسنجد في صفحاتها مكاناً صالحاً لـ«محموظ مصيص» الفلسطيني
الذي ولد ومات في تشيلي وكتب بالإسبانية، ومكان آخر لليوناني «يانيس ريتسوس» وللتشكيلية
الفلسطينية «منى حاطوم» تلك التي جعلت من الجدران أبواباً في بحثها الدؤوب عن «عالم أقل ثرثرة».
«الملف» الذي أعده د. أحمد أبو مطر تناول ذاكرة الحصار في بيروت، يوميات الجهد العظيم الذي بذله
مثقفون وكتاب وشعراء لبنانيون وفلسطينيون وعرب في مواجهتهم للألة العسكرية الإسرائيلية في
صيف 1982 .

تحت الضوء في الطابق الثاني من بناية في شارع «جبل الطويل» في رام الله - صيف 2001، على
تماس مع القاتل، نواصل ترتيب أوراق العدد الجديد الذي سيصدر في موعده وعلى الجدران شعراء
ميتون ينظرون إلينا بصبر .